مجلة بادر
المُحكّمة لعلم النفس الإسلامي

أثر التربية الأسرية السليمة في تحقيق العمران من خلال القرآن الكريم

د. محمد مقساوي

maksaoui.m@ucd.ac.ma

الملخص:

تعتبر التربية الأسرية الدعامة الأساسية لبناء المجتمعات التي بها يبنى العمران، لأنها المدرسة الأولى للتنشئة على القيم الدينية والمعرفية والاجتماعية والاقتصادية ... والمهارات الأساسية لتنمية الفرد وتشكيل شخصيّته القوية وتأهيله للمشاركة الفعّالة في بناء المجتمع، وهي الطريق نحو تحقيق التنمية المستدامة والشاملة فالتربية عملية لا أمية كبيرة في التنشئة على القيم الفاضلة، فإصلاح أي أمة لا يكون بالقضاء على الشرور فقط، بل بتربية الأجيال على القيم الحميدة وبالتالي رفعها إلى مستوى الإنسانية الحق، ولذلك فالتربية المبنية على أسس سليمة تؤدّي دورًا أساسيا في تنمية قيم الصدق والعدالة والاحترام والتعاون والمسؤوليّة لدى الفرد، ما يعزِّز التسامح والتعايش السلميّ في المجتمع. وتعزّز التربية اكتساب مهارات الاتّصال والتواصل، وحلّ المشكلات، واتّخاذ القرار، والتفكير الناقد الضروري للنجاح في الحياة الشخصيّة والمهنيّة، فمن خلال تنمية هذه القيم والمهارات تستطيع التربية أن تبني أفرادا قادرين على الإسهام بفاعليّة في تقدّم المجتمع وتحقيق التنمية المستدامة وذلك ما حاولت بيانه في هذه الورقات العلمية.

كلمات مفتاحية: التربية/ الأسرة / القيم/ العمران

Abstract:

Family education is the mainstay of building the communities in which urbanization is built, as it is the first school of upbringing on religious, cognitive, social and economic values... Basic skills for individual development, strong personality formation and qualification for effective participation in community building education is a process rather than a great illiteracy in nurturing virtuous values, Reforming a nation is not only by eradicating evils, but by raising generations' good values and thus elevating them to the true standard of humanity. Well-founded education therefore plays an essential role in the development of the values of honesty, justice, respect, cooperation and responsibility of the individual, thus promoting tolerance and peaceful coexistence in society. Education promotes the acquisition of communication and communication skills, problem solving, decision-making and critical thinking necessary for success in personal and professional life. Through the development of these values and skills, education can build individuals capable of effectively contributing to society's progress and achieving sustainable development.

Keywords: Education/Family/Values/Urban

مقدمة

اهتم القرآن الكريم اهتماما كبيرا بالأسرة، من خلال الآيات الكثيرة التي تناولت موضوعها، بجوانبها المختلفة، حيت اختص الله سبحانه وتعالى بتنظيم العلاقة بين أفرادها، باعتباره العالم بكيفية تنظيمها حتى تحقق الاستخلاف المنشود في الأرض، سواء على المستوى التشريعي أو السلوكي والأخلاقي، حيث فصّل في شأنها في القرآن الكريم تفصيلا دقيقا، ولم يترك معه مجالا كبيرا للاجتهاد البشري، لأن حفظ الأسرة حفظ لمقاصد الشريعة وتوجيه لمسار العمران وتحقيق للاستخلاف في الأرض.

ولذلك انطلقت في البحث من الاشكالية التالية: إلى أي حد يمكن تحقيق العمران المتجلي في إعمار الأرض بالعمل الصالح بالتربية الأسرية السليمة من خلال القرآن الكريم؟

وللإجابة على هذا الاشكال اعتمد البحث المنهج الاستقرائي والمنهج الوصفي بما يشتمل عليه من إحصاء ومقارنة، وذلك لبناء صورة على الأسرة ودورها في العمران من خلال القرآن الكريم.

المبحث الأول: مفهوم الأسرة في اللغة والاصطلاح.

إن المتتبع للمعاجم اللغوية يجد أن لفظ أسرة يرجع للجذر اللغوي أسر وسر كما سنرى بإذن الله تعالى، وأبدأ بصاحب المقاييس حيث يقول في مادة سر.

السين والراء يجمع فروعه إخفاء الشيء. وما كان من خالصه ومستقره، لا يخرج شيء منه عن هذا، فالسر: خلاف الإعلان. يقال أسررت الشيء إسرارا، خلاف أعلنته. ومن الباب السر، وهو النكاح، وسمي بذلك لأنه أمر لا يعلن به.[1]

وجاء في أساس البلاغة للزمخشري قوله في المادة: وأما الذي ذكرناه من محض الشيء وخالصه ومستقره، فالسر: خالص الشيء. ومنه السرور ; لأنه أمر خال من الحزن. والسرة: سرة الإنسان، وهو خالص جسمه ولينه. ويقال قطع عن الصبي سرره، وهو السر، وجمعه أسرة. وسره: أجوده. ومن الباب الأول سر النسب، وهو محضه وأفضله. وقال الأصمعي السرية من السر، وهو النكاح ; لأن صاحبها اصطفاها للنكاح لا للتجارة فيها.

وقال أيضا في مادة أ س ر

[1] مقاييس اللغة لابن فارس باب سر.

يقال: حلّ إساره فأطلقه وهو القيد الذي يؤسر به. وتقول: من تزوج فهو طليق قد استأسر، ومن طلق فهو بغاث قد استنسر. وقد أسر فلان. وهم رهطي وأسرتي. وتقول: ما لك أسرة، إذا نزلت بك عسره. ومن المجاز: شد الله تعالى أسره أي قوى إحكام خلقه، من قولهم: ما أحسن ما أسر قتبه، وهو أن يربط طرفي عرقوبي القنب برباط.[2] وهو في سرّ النسب: محضه. وواعدها سراً: نكاحاً. والتقى السران: الفرجان.[3]

وأسرة الرجل: عشيرته ورهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم. وفي الحديث: زنى رجل في أسرة من الناس؛ الأسرة: عشيرة الرجل وأهل بيته[4].

يتبين من خلال ما سبق أن أغلب معاني لفظ أسر وسر تعود إلى إخفاء الشيء، والإخلاص، والاستقرار، والربط والإحكام، والنكاح، والزواج، وكلها معاني يكمل بعضها البعض لتعطينا مفهوم الأسرة بمعناه المعاصر.

المبحث الثاني: الأسرة في القرآن الكريم

لم يرد لفظ الأسرة في القرآن الكريم بمعناه الحالي، إنما بمعنى القبض والإمساك والإحكام يقول تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا)، (الأنفال: 69). والأسير هو من أخذ في الحرب وقبض عليه .

وقال أيضا (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا) (الإنسان: 27.) والمقصود هنا إحكام الخلق وإحسانه، يقول الإمام الطبري رحمه الله: "نَحْنُ خَلَقْنَا هؤلاء المشركين بالله المخالفين أمره ونهيه(وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ): وشددنا خلقهم، من قولهم: قد أُسِر هذا الرجل فأُحسِن أسره، بمعنى: قد خلِقَ فأُحسِن خَلْقه"[5].

والمتتبع لهذه المادة في القرآن الكريم لن يجد مصطلح الأسرة بمعناه المعاصر، وإنما ورد ذكر مقوماتها وأركانها كما تحدثت عن ذلك الباحثة جميلة تلوت في كتابها الأسرة في التصور القرآني: حيث قالت: "يمكن الحديث عن مفاهيم الأسرة في إطار حقول دلالية متشابكة ومتعالقة:

حقل الزوجية ويتكون من: الزوج – امرأة – بعل...

---

[2] أساس البلاغة، للزمخشري، باب أسم

[3] أساس البلاغة باب س ر ع.

[4] لسان العرب لابن منظور فصل الألف.

[5] تفسير الطبري:، ج24، ص 117.

حقل الأبوة: أب – أم – والد – والدة – الوالدين ...

حقل الذرية: أولاد – درية – بنات– بنون/ بنين وحفدة...

حقل القرابة: أعمام – عمات – أخوال – خالات – أرحام...

وتداخل هذه الحقول يعطينا " الأهل/الآل"، وكثرة الأهالي تعطينا العشيرة."[6]

المبحث الثالث: العمران في اللغة والاصطلاح.

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي رحمه الله في هذه المادة: "عمر: العمر: ضرب من النخل وهو السحوق الطويل... والعمر عمر الحياة. وقول العرب: لعمرك، تحلف بعمره، وتقول: عمرك الله أن تفعل كذا. هذا إن تحلفه بالله، أو تسأله طول عمره. عمر الناس وعمرهم الله تعميرا. وتقول: إنك عمري لظريف. وعمر الناس الأرض يعمرونها عمارة، وهي عامرة معمورة ومنها العمران. واستعمر الله الناس ليعمروها. والله أعمر الدنيا عمرانا فجعلها تعمر ثم يخربها. والعمارة: القبيلة العظيمة."[7]

ويقول ابن فارس رحمه الله: "العين والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على بقاء وامتداد زمان، والآخر على شيء يعلو، من صوت أو غيره.

فالأول العمر وهو الحياة، وهو العمر أيضا. وقول العرب: لعمرك، يحلف بعمره أي حياته. فأما قولهم: عمرك الله، فمعناه أعمرك الله أن تفعل كذا، أي أذكرك الله، تحلفه بالله وتسأله طول عمره. ويقال: عمر الناس: طالت أعمارهم. وعمرهم الله - جل ثناؤه - تعميرا.

ومن الباب عمارة الأرض، يقال عمر الناس الأرض عمارة، وهم يعمرونها، وهي عامرة معمورة. وقولهم: عامرة، محمول على عمرت الأرض، والمعمورة من عمرت. والاسم والمصدر العمران: واستعمر الله - تعالى - الناس في الأرض ليعمروها. والباب كله يؤول إلى هذا."[8]

وجاء في اللسان: "الخراب: ضد العمران والتخريب: الهدم."[9]

---

[6] الأسرة في التصور القرآني: جميلة تلوت، ص 24-25.

[7] كتاب العين للفراهيدي، باب العين والراء والميم معهما

[8] مقاييس اللغة باب عمر

[9] لسان العرب فصل الخاء المعجمة

وجاء في المعجم الوسيط: "(العمران) البنيان وما يعمر به البلد ويحسن حاله بوساطة الفلاحة والصناعة والتجارة وكثرة الأهالي ونجح الأعمال والتمدن يقال استبحر العمران والعدل أساس العمران وعلم العمران (عند ابن خلدون) علم الاجتماع."[10]

ويقول طه جابر العلواني: "العمران الذي" يقوم على إعمار الكون وإحياء مواته، والاستفادة من كل ما أتاحه التسخير الإلهي من النعم الظاهرة والكامنة فيه، وجعل كل شيء فيه داخلا في دائرة التسبيح لله سبحانه ... الفعل الذي ينطلق من التوحيد، ويدل على قوته ومتانته في ضمير الإنسان، ويكون في الوقت نفسه منبثقا من نفس إنسانية مزكاة، وتكون غايته ونتيجته متصلة بدائرة العمران، وتصب فيها".[11]

أما تومي اسماعيل فعرفه في كتابه العمارة والعمران في ظلال القرآن بقوله: "هو إسكان في منطقة معينة، لهدف معين، يتطور مع الزمن إلى اجتماع بشري، يسوده الأمن و يتوفر على أسباب المعيشة."[12]، وهو التعريف المستنبط من دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله سبحانه وتعالى: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (الرعد: 36)

المبحث الرابع: العمران في القرآن الكريم.

وردت مادة (ع م ر) في القرآن الكريم بمشتقاتها المختلفة 37 مرة، بمعاني مختلفة حسب سياق ورودها، فأحيانا تردع في سياق الحديث عن عمر الإنسان قبل موته وهو المعنى الذي ظهر بوضوح في الآيات الآتية، قال تعالى: (قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ) (البقرة: 94-95)

وقال تعالى: (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) (فاطر: 10).

---

[10] المعجم الوسيط باب العين.

[11] العلواني طه جابر، تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين، الولايات المتحدة الأمريكية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 2012 م، ص42

[12] تومي اسماعيل، العمارة والعمران في ظلال القرآن، ص 15.

وقال الحق عز وجل: (وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ) (القصص: 44).

ويأتي كذلك في سياق في استثمار موارد الأرض للعيش والحياة وفي هذا يقول تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ عَمَرُوهَا) (الروم:8)

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية: " أولم يسر هؤلاء المكذّبون بالله، الغافلون عن الآخرة من قريش في البلاد التي يسلكونها تجارا، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة، كيف كان عاقبة أمرها في تكذيبها رسلها، فقد كانوا أشدّ منهم قوّة، (وَأَثَارُوا الأرْضَ)، يقول: واستخرجوا الأرض، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم، فلم يقدروا على الامتناع، مع شدّة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله، ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الأرض، إذ (جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِنَاتِ) من الآيات، فكذّبوهم، فأحلّ الله بهم بأسه، (فَمَا كَانَ الله لِيَظْلِمَهُمْ) بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله، وجحودهم آياته، (وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بمعصيتهم ربهم"[13].

نستنتج من تفسير هذه الآيات أن عمارة الأرض من طرف كل جيل مبنية على الاستفادة ممن سبقه معززا الإيجابيات ومتجاوزا الأخطاء التي يمكن أن تخرب ما عمره وبناه.

كما يأتي في سياق الحفاظ على الصلاة في المسجد وإعماره بذكر الله تعال، قال تعالى: (إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ.) (التوبة: 17)

نلاحظ هنا ربطه تعالى فعل التعمير بالمسجد وهو مكان أداء الركن الأساسي من العبادة، التي من أجلها خُلِقَ الإنسان، وأن إعمار المسجد الذي يعتبر مركز اشعاع للحضارة الإسلامية في مجال العمران أساسه الإيمان، ولذلك ابتدأت الآية بأسلوب الحصر، فعمار المساجد لا شك أنهم من عمار الأرض بالعمل الصالح، ومسألة الإيمان باليوم الآخر هنا في غاية الأهمية، لأنها تربط الإنسان بالحساب يوم القيامة؛ وبالتالي يحرص على الاجتهاد في اتقان العمل الذي يساهم في عمارة الأرض على الوجه المطلوب.

كما يأتي العمران في القرآن الكريم بمعنى الاستخلاف، يقول تعالى: (هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ.) (هود: 31)

---

[13] تفسير الطبري، ج 20، ص 78.

والاستخلاف هو أن الله" أناب الجماعة البشرية في الحكم وقيادة الكون واعماره اجتماعيا وطبيعيا وعلى هذا الأساس تقوم نظرية حكم الناس لأنفسهم وشرعية ممارسة الجماعة البشرية الحكم بوصفها خليفة عن الله والخلافة؛ هي تكليف إلهي للإنسان ليباشر مهمة الإعمار والبناء في الأرض وفق إرادة الله لتتحقق بذلك العبودية الكاملة لله في هذا الكون[14].

من خلال ما سبق يتبين أن مادة عمر في القرآن الكريم كما في اللغة تتحد في الحياة التي يعيشها الإنسان، والبناء، والإقامة والسكنى، والاستخلاف...

المبحث الخامس: مكانة الأسرة في التصور القرآني وعلاقة ذلك بالعمران.

إقامة الأسرة هو في حد ذاته هو البداية في القيام بمهمة الاستخلاف في الأرض لأنها عمران إنساني واجتماعي، وهي المرتكز الذي يقوم عليه العمران وأساسه، فالأسرة هي كل شيء، فيها يصنع الإنسان وبها يبنى العمران، ولذلك أولاها القرآن الكريم الحظ الأوفر والمساحة الأوسع من تشريعاته، تفصيلا وتبيينا لأدق أحكامها، كما بينت السنة النبوية الشريفة تفاصيل وأحكام أخرى لها علاقة بتنظيم الأسرة والحفاظ على استقرارها، لأن سلامة الأسرة يعني سلامة حاضر ومستقبل الإسلام والمسلمين ومجتمعاتهم، بل والبشرية بصفة عامة، وأن خرابها خراب لذلك جميعا قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) (الأعراف: 189).

كما تعتبر الأسرة اللبنة الأولى في بناء العمران، وهي الخلية الأساسية في المجتمع، وأهم جماعاته الأولية قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (النساء:1). وهي المؤسسة الرئيسية المسؤولة عن صلاح المجتمع والأمة، ونجاحها واستقرارها يسهم في أمن المجتمع، فيكثر فيه الإنتاج والفعالية والحب والتعاون والتكافل، وكل قيم الخير والصلاح، فيحفظ للناس حقوقهم الاجتماعية والتربوية، وذلك بالعمل على تربية الأبناء تربية صالحة، مبنية على أسس علمية من خلال تكوين المقبلين على الزواج، في كل ما يخص العلاقة الزوجية وتربية الأطفال تربية رصينة، وكيفية التعامل معهم في مختلف مراحل النمو، حتى نحصل في النهاية على الولد الصالح لذاته ولأسرته وللمجتمع، وهذا ما جعل الشارع الحكيم يسند مهمة رعاية الأبناء إلى والديهم، بحكم الاستعداد الفطري الذي أودعه الله في الآباء، ما يدعوهم إلى الاعتناء بهم وحسن تربيتهم وتمتعيهم بكل الحقوق التي تشمل كل مجال من

---

[14] زرمان محمد، وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم ودلالتها وأبعادها الحضارية، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، - 1998م، العدد السادس عشر، جامعة قطر، ص 198.

حياتهم دون إفراط ولا تفريط، والحفاظ على الفطرة السليمة فطرة الإسلام التي فطر الله تعالى عليها الإنسان، فليس الهدف من الزواج إنجاب الأطفال ثم تركهم للضياع وعدم تحمل مسؤوليتهم، بل المقصود من الزواج تزويد الحياة بعناصر الإعمار، وتزويد المجتمع بمواطنين صالحين لخدمة المجتمع والوطن في كل مجالات الحياة، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا بصلاح الأسرة وتشبتها بقيم الإسلام، قال تعالى: (جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ) (الرعد: 23).

ولتحقيق هذا المقصد شدد الإسلام في شروط ومقومات بناء الأسرة كما سنرى في المبحث التالي:

المبحث السادس: شروط ومقومات استقرار الأسرة لتحقيق العمران المنشود.

- ✓ حسن الاختيار الزوج للزوجة والرضا بقبول بعضهما البعض مع التوافق بينهما في المشاعر والتصورات والميولات، ولذلك وجه الرسول صلى الله عليه وسلم الزوجة لاختار الزوج بناء على الدين والخلق، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض، وفساد عريض.)[15] نلاحظ في هذا الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم جمع بين الدين والخلق، لأنه يمكن أن يكون الإنسان متصفا بالدين في شق العبادات، ولكنه في جانب المعاملات لا يتصف بحسن الخلق، وهذا الأخير بما فيه من صدق ووفاء وثقة ومسؤولية ... ضروري لبناء أسرة مستقرة تساهم في تحقيق العمران، كما بين النبي صلى الله عليه وسلم أن رفض من توفرت فيه شروط الزوج الصالح يعني الفساد العريض، وبدليل المخالفة فقبوله معناه التأسيس لأسرة صالحة مصلحة مساهمة في العمران.

ونفس الأمر وجهه الرسول صلى الله عليه وسلم للزوج الراغب في الزواج، حيث بين له ما تميل إليه النفس في اختيار الزوجة، من مال وحسب وجمال والدين، فأمر الزوج لاختيار صاحبة الدين لعلمه صلى الله عليه وسلم أن أساس العمران الدين أولا، لأن المال بلا دين قد يكون سببا للخراب، وفي هذا يقول عليه السلام: (تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين، تربت يداك.)[16] يقول مصطفى البغا في تعليقه على هذا الحديث فاظفر من الظفر وهو غاية البغية ونهاية المطلوب. (تربت يداك) هو في الأصل دعاء. معناه لصقت يداك بالتراب أي افتقرت ولكن العرب أصبحت تستعمله للتعجب والحث على الشيء وهذا هو المراد هنا[17].

---

[15] سنن الترمذي، باب ما جاء إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه

[16] صحيح البخاري، باب الأكفاء في الدين

[17] صحيح البخاري، شرح وتعليق مصطفى ديب البغا، ج7، ص7.

- ✓ المعاشرة بالمعروف بين الزوجين والأولاد على أساس الود والرحمة والاحترام المتبادل، والبعد عن كل السلوكات المستفزة التي تسبب النفور والمشاكل. قال تعالى: (وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ) (النساء: 18). وفي تفسير هذه يقول ابن كثير رحمه الله تعالى: " أي: طيّبُوا أقوالكم لهن، وحَسّنُوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم، كما تحب ذلك منها، فافعل أنت بها مثله، كما قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ)، البقرة:228، وكان من أخلاقه صلى الله عليه وسلم أنه جميل العشرة دائم البشر، يداعب أهله، ويتلطّف بهم، ويوسّعهم نفقته، ويضاحك نساءه، حتى إنه كان يسابق عائشة أم المؤمنين يتودّد إليها بذلك. قالت: سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته، وذلك قبل أن أحمل اللحم، ثم سابقته بعد ما حملت اللحم فسبقني، فقال: "هذِهِ بتلْك"[18] ويجتمع نساؤه كل ليلة في بيت التي يبيت عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأكل معهن العشاء في بعض الأحيان، ثم تنصرف كل واحدة إلى منزلها. وكان ينام مع المرأة من نسائه في شعار واحد، يضع عن كتفيه الرداء وينام بالإزار، وكان إذا صلى العشاء يدخل منزله يسمر مع أهله قليلا قبل أن ينام، يؤانسهم بذلك صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: 21).
- ✓ التعاون على تربية الأولاد تربية سليمة واعتبار ذلك مسؤولية نحاسب عليها أمام الله تعالى فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ألا كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسئول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته، وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسئولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته.)[19]
- ✓ اهتمام الوالدين بالأمور الدينية وتمثلها وتربية الأبناء عليها باعتبارها الأمن الروحي الذي يحفظ كل الأفراد من الضياع والانحراف. قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ) (التحريم: 5).
- ✓ التعاون بين أفراد الأسرة اقتداء بالرسول عليه الصلاة والسلام مع أهله، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وأنا خَيْرُكُم لأَهْلي.)[20]
- ✓ مشاركة كل طرف للآخر في حالات الفرح والحزن، قال تعالى: (وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ.) (الروم: 19)

---

[18] رواه النسائي في السنن الكبرى برقم (8942)

[19] صحيح مسلم، باب فضيلة الإمام العادل.

[20] رواه ابن ماجة في السنن برقم (1977)

- ✓ الحفاظ على الاستقرار النفسي والاجتماعي للأسرة: وذلك باستخدام أسلوب الحوار في تدبير الخلافات والبعد عن العنف والجدال المذموم، فعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الكلمة الطيبة صدقة.)[21] فالكلمة الطيبة مع العموم صدقة، لما لهما من آثار إيجابية على النفوس تشجعهم وتحفزهم على العمل، فكيف إذا كانت من عادات الأسرة؟
- ✓ معرفة كل فرد داخل حقوقه وواجباته وانخراط الجميع في تحقيق النجاح للأسرة عن طريق التشاور والحوار وتحمل المسؤولية. قال تعالى: (وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ.) (البقرة:228)
- ✓ توافر دخل مناسب للأسرة يكفل أفرادها مستوى معيشيا مناسبا يؤمن احتياجاتهم الأساسية لضمان قسط من الرفاهية والطمأنينة والسعادة لأن انعدام المال يشجع على ارتكاب الجرائم مما يؤدي إلى تهديد استقرار الأسرة والمجتمع وسلامتهما. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذي أنفقته على أهلك.)[22]

تلك بعض شروط ومقومات استقرار الأسرة، فإذا تحقق معظمها كان ذلك مؤشرا على صلاح المجتمع وبالتالي تحقيق العمران المنشود.

خاتمة

---

[21] صحيح البخاري، باب طيب الكلام.

[22] صحيح مسلم، باب فضل النفقة على العيال.

إن الأسرة في العصر الحالي تعيش تخبطا يصعب التحكم في مآله ومصيره، وتحديات كبيرة تفرضها العولمة عبر وسائل الاتصال الحديثة المنحازة لثقافة الانحلال والتفسخ، الشيء الذي انعكس سلبا على مقومات تماسك الأسرة، وأدى إلى اهتزاز قيمها، وجعلها عرضة للتمزق والانشقاق، ولذلك لابد من الرجوع إلى المصادر الرئيسية في بناء أسرة قادرة على تحقيق العمران، من خلال ما يلي:

- ✓ الالتزام بمقومات وشروط بناء الأسرة العمل بتوجيهات الشارع الحكيم في بنائها.
- ✓ توعية الناس ذكورا وإناثا بأدوارهم ومهامهم داخل الأسرة لأن الجهل بها يؤدي إلى فساد الأسرة وبالتالي خراب العمران.
- ✓ إعداد برامج إعلامية تحسيسية وتوعوية قيمية تهدف إلى تثقيف الأسر وتوعيتها وإرشادها، وتقديم المساعدات المناسبة لمعالجة بعض المشاكل التي تواجهها.
- ✓ وضع برامج مدرسية مختصة بالأسرة على نحو ينمي المفاهيم الأسرية الصحيحة ويربي المتعلمين والمتعلمات على القيم التي ينبغي أن تتمثلها الأسر.
- ✓ تنظيم دورات تدريبية وورشات تكوينية لفائدة الأزواج والأبناء بهدف إطلاعهم على الحياة الأسرية والأدوار المنوطة بكل عنصر وتعريفهم بمتطلبات تأسيس علاقة زوجية ناجحة.
- ✓ فتح المجال أمام جمعيات المجتمع المدني للتوعية بوظائف الأسرة، وكيفية تنظيم الحياة العائلية، وتقديم حلول مناسبة للصعوبات والمشاكل والأزمات الأسرية المختلفة...

المصادروالمراجع

- ✓ القرآن الكريم
- ✓ سنن ابن ماجة.
- ✓ سنن الترمذي.
- ✓ صحيح البخاري.

صحيح مسلم.

- ✓ أساس البلاغة، للزمخشري
- ✓ الأسرة في التصور القرآني: جميلة تلوت.
- ✓ تفسير الطبري.
- ✓ تومي اسماعيل، العمارة والعمران في ظلال القرآن.
- ✓ زرمان محمد، وظيفة الاستخلاف في القرآن الكريم ودلالتها وأبعادها الحضارية، حولية كلية الشريعة والقانون والدراسات الإسلامية، 998 - م، العدد السادس عشر، جامعة قطر.
- ✓ العلواني طه جابر، تطور المنهج المقاصدي عند المعاصرين.
- ✓ كتاب العين للفراهيدي.
- ✓ لسان العرب لابن منظور.
- ✓ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية.
- ✓ مقاييس اللغة لابن فارس.